مقاومة قبيلة البرانس للغزو الفرنسي :1912- 1926

ـ كرونولوجيا المعارك والمقاومة ـ*

محمادي هرنان : دكتوراه في العلوم السياسية

بعد أن عاشت قبيلة البرانس تجربة الثورة على السلطة المركزية نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين بقيادة كل من بوعزة الهبري والجيلالي الزرهوني الملقب ببوحمارة عادت لحمل السلاح والمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للمغرب .

يمكن تلخيص وتركيب هاته المقاومة في أربع محطات كبرى وهي التالي :

1- محطة دخول الجيش الفرنسي لمدينة فاس حيث انضمت القبيلة للحركة الجهادية تحت قيادة الفقيه الحجامي .

2- محطة مقاومة استراتيجية ليوطي LYAUTEY المتمثلة في ربط المغرب بباقي دول شمال افريقيا عبر شعار " تازة قبل كل شيء " . خلال هاته المحطة انضمت قبيلة البرانس لتحالف قبلي كبير لمواجهة الجيش الفرنسي القادم من فاس ومن الجزائر لاحتلال تازة .

3- محطة غزو الجيش الفرنسي للبرانس التي دامت 12 سنة بالكامل رغم تواجد المنطقة على بعد بضع كيلومترات فقط من تازة .

4- محطة تأسيس جيش التحرير والمقاومة من أجل الاستقلال.

عبد الرحمان المودن: البوادي...ص: 29

خلال كل هاته المحطات كانت البرانس دائما متأهبة ومستعدة للانضمام الى أي حركة مقاومة رغم تنوع الزعامات واختلاف جنسياتها مثل : الفقيه محمد الحجامي ،محمد الغازي ،محمد المامون الشنكيطي ،عبد المالك الجزائري،ألبير بارتلز ALBERT BARTELS الالماني الأصل ثم محمد بن عبد الكريم الخطابي. هي محطات كبرى يمكن إغناؤها بالعديد من الوقائع والأحداث والمعارك التي نعرض بعضا منها في المحاور التالية:-

1-البرانس وحركة الفقيه الحجامي

سنة 1911 ونتيجة لمشاورات بين بعض زعماء البرانس- سي ابراهيم بن محمد الوربي واحمد بن البشير البوعلايي- تم الإعلان عن الانضمام الى حركة الشريف محمد الحجامي الجايي الناصري شيخ الزاوية الدرقاوية بتاونات.ففي يوم 16 ماي 1912 ترأس الحجامي الحركة الجهادية بمنطقة بومرشد، والمكونة من 3000 فارس، بالإضافة إلى 6000 من مشاة غياثة ،البرانس ،التسول ،بني وراين والحياينة.

تم نقل المدفعية والأسلحة التي تركها الجيلالي الزرهوني /بوحمارة بتازة من طرف البرانس وغياثة نحو فاس حيث تكلفت البرانس بمراقبة تحركات فرقة دالبييز DALBIEZ غرب فاس من جهة طريق مكناس.

حدد الحجامي يوم 25 ماي 1912 كموعد للهجوم على فاس حيث اعطى للبرانس والتسول وغياثة أمرا بالسيطرة على الحائط الموجود بسيدي بستي وباب ابي الجنود تمهيدا للدخول الى عمق وقلب المدينة .جرت معارك طاحنة بين الجيش الفرنسي وقوات الحجامي نهاية شهر ماي 1912 نتج عنها : دخول قوات الحجامي الى فاس وزاوية مولاي ادريس حيث قام الحجامي بأخذ" غطاء الضريح ليظهر للقبائل أنه دخل فاس".***(طالع لويس أرنو :زمن لمحلات...ص:219)***.نتج عن هذه المواجهات مقتل 34 وجرح 84 من الفرنسيين ومقتل 114 من قوات الحجامي التي اضطرت للانسحاب تحت ضغط السلاح العصري الفرنسي نحو أحواز فاس وإعادة تنظيم المقاومة التي استمرت حتى نهاية

شهر غشت 1912 . خلال هذه المعارك الأخيرة تكبدت فرنسا 167 قتيلا و 171 جريحا مقابل 288 قتيلا في صفوف قوات الحجامي . انخراط التسول والبرانس وغياتة في ثورة الحجامي كلفهم 100 قتيل ما بين 26 ماي و 1 يونيو 1912 لكن البرانس ورغم عدم انخراطها في حركة المدني الذي دعى إليها يوم 13 يوليوز 1912 فإنها ستنظم من جديد لحركة الحجامي سنة 1914 شمال تيسة بتاونات حيث فقد الفرنسيون 9 قتلى و 25 جريحا طوال .

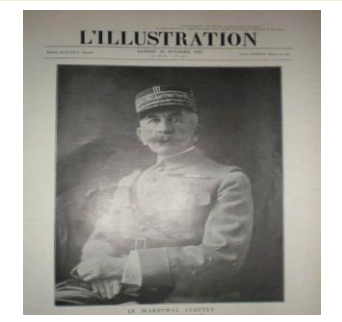

رغم الفشل في تحرير فاس، اعترف ليوطي LYAUTEY بالمؤهلات والكفاءات العسكرية للزعيم الحجامي الذي ترك وثائق تهم التخطيط العسكري حيث قال"أكيد انها المرة الأولى التي أرى فيها وثيقة عسكرية محلية مهيأة بدقة وذكاء كبيرين حول الضرورات التاكتيكية".

(Daniel Rivet :Lyautey ...P :134) .

قاومت البرانس ضمن تكتل قبلي عريض الزحف الفرنسي على تازة القادم من غربها/فاس وشرقها/الجزائر وذلك تحت قيادات جديدة مثل الغازي والشنكيطي اللذين التف حولهما زعماء محليون الذين لم يستطع الجيش الفرنسي استمالتهم وضمهم إليه أنداك كما عبر عن ذلك بمرارة القبطان كوسان CAUSSIN قائلا " من بين المشاكل التي تواجهنا في منطقة تازة هو عدم وجود زعامات محلية يمكن الاعتماد عليها وحتى وإن وجدت فإن تأثيرها ضعيف وسط القبائل التي تنتمي إليها ". (طالع :الدكتور محمد العريبي:المقاومة المسلحة...ص:220). نفس التقييم سجلته مصالح الاستعلامات الفرنسية شهر مارس 1913 بخصوص استمالة وتوظيف الاعيان بقبيلتي التسول والبرانس حيث جاء فيه"لقد تم ربط علاقات مع بعض الاشخاص من التسول لكن هؤلاء لا زالوا مصرين على مقاومة قواتنا،وقد تمت قراءة بعض المناشير في أسوقهم استعدادا لمواجهتنا، أما بالنسبة للبرانس فإن القبيلة كلها تعادينا ولم يتم ربط أي علاقة معهم وأن مناشير عنيفة تم تداولها داخل أسواقهم". (طالع :الدكتور محمد العريبي:المقاومة المسلحة...ص:222)

إنها الوضعية التي عاشها الجيش الفرنسي بقيادة ليوطي LYAUTEY وهو يتقدم نحو مدينة تازة التي دخلها بصعوبة يوم 10 ماي 1914 تاركا وراءه قتلى وجرحى من ضمنهم القبطان لوفير Le faire في حين ظهر الحجامي مجددا بالتسول والبرانس لصد توغلات قوات كورو GOURAUD.

مقاومة البرانس كما غيرها من قبائل حوض إيناون للتغلغل الفرنسي فرضت على الجيش الغازي ولسنوات عدة خوض معارك عنيفة ومستمرة لاحتلال أجزاء من بقعة جغرافية صغيرة وفي نفس الوقت الدفاع عنها وتحصينها ثم بعد ذلك بدل مجهود حربي استثنائي لغزوها من جديد وأخذها من يد المقاومة التي استرجعتها سابقا.فبالنسبة لقبيلة البرانس كان على فرنسا ما بين غشت 1914 ومارس 1919 خوض عدد كبير من المعارك بكل من سيدي أملال،وادي لحضر،قصبة بني ورياغل،مسلك ضريح سيدي أحمد زروق، تيليوان،جامع الخمسين،عين بوقلال...وهي معارك أغلبها خيض لاحتلال أجزاء صغرى بمجال جغرافي ضيق للغاية وفي فترة غير متباعدة .(طالع:الدكتور عبد السلام نويكة :أعالي ايناون...ص:215).

2-البرانس وحركة محمد الغازي

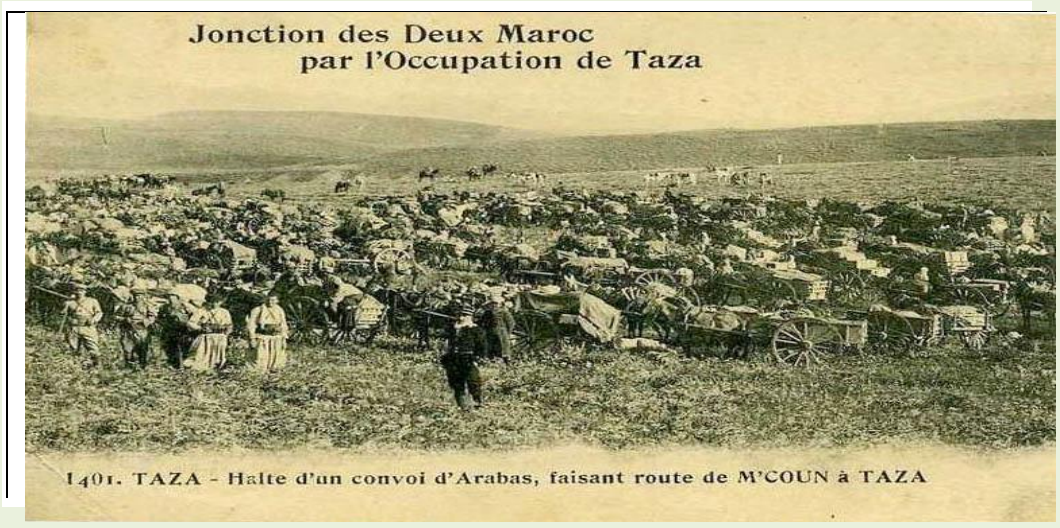

مباشرة بعد فشل حركة الحجامي ظهرت شخصية المجاهد محمد الغازي الصنهاجي الاصل بمنطقة الكوزات قبيلة أوربة/وربة حيث تم التوجه به يوم 14 غشت 1914 إلى ضريح سيدي أحمد زروق، المكان الذي سوف تنطلق منه الحركة الجهادية الثانية لمواجهة الجيش الفرنسي القادم من الجزائر بمنطقة مسون ووادي أغبال شرق تازة .

لقد أتى الغازي في مرحلة جد مهمة بالنسبة للمقاومة حيث وقبل ذلك بشهور أي شهر مارس 1914، قامت قبائل البرانس والتسول وغياتة بمهاجمة القوات الفرنسية الزاحفة نحو تازة من جهة الغرب وهي المعركة التي قتل فيها القبطان لوفير LE FAIRE وجرح خلالها ملازما قبل

أن ينفذوا هجوما ثانيا على قوات العقيد بيلو (Bulleux)، والذي انتهى بقتيل واحد وثمانية جرحى.
إن المعارك القوية التي خاضها هذا التحالف القبلي الكبير الذي يتحكم في حوض ايناون وتازة وشرقها دفعت بليوطي LYAUTEY إلى الإقرار بخطر المقاومة على الوجود الفرنسي قائلا" إن الفرنسيين أصبحوا على وشك الانهيار بسبب ضعف القوات عددا وذخيرة وازدياد نشاط السكان الثوار ..."(طالع الأستاذ محمد بنجلون:قراءة في تاريخ الحركة الوطنية ...ص:49).

تعززت حركة المقاومة هذه بانضمام قبائل أخرى مثل أولاد بوريمة، مكناسة،جزء من مغراوة، كزناية كما صادف هذا التوهج الثوري تواجد محمد الشنكيطي -القادم من منطقة أدرار بشنكيط- في المنطقة منذ شهر ماي 1913 عندما بايعته التسول وغياتة والبرانس سلطانا للجهاد.

لم يكن تواجد هذان الزعيمان بالمنطقة عبثا بل نتيجة تقييم موضوعي لأهمية الموقع الاستراتيجي لتازة وكذا قدرات وشجاعة قبائلها عبر التاريخ . فالغازي والشنكيطي ورغم اختلاف أصلهما ومواقع الانطلاق اتفقا خلال شهر غشت 1914 على التنسيق بينهما وقيادة التكتل القبلي العريض والقيام بهجومات تركزت على وقف زحف الجيش الفرنسي على محور مسون /تازة وبواديها من بينها معارك مسون والتي تلتها لاحقا مقاومة التغلغل الفرنسي بالبرانس بمناطق سيدي احمد زروق وباب تيمالو،ووادي الاربعاء...التي خلفت قتلى وجرحى فرنسيين منهم الضباط والجنود.

الجرحى الفرنسيين بوادي أغبال

في نفس الشهر أي يومي 21 و 22 غشت 1914 قام محمد الغازي وبعد استقراره بمنطقة باب تيمالو شمال شرق تازة بتدمير قنطرة على وادي تازة وأعمدة الهاتف قبل الدخول الى موقع جيراردو GERARDOT بتازة ومصادرة الاسلحة وإشعال النار في ازقة المدينة .شكلت هذه المعارك صدمة قوية للفرنسيين حيث قال عنها كوسان CAUSSIN : "أصبحنا نحس بالغربة والوحدة...نحن هنا –أي في معسكر جيراردو- بدون قوة وغير قادرين على الحركة...بدأت الرسائل تصلنا من فرنسا تتحدث عن تراجع جدي...ألا يفهم الناس أننا نعاني نفسيا" . (طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس....ص:191 . للمزيد من المعلومات حول أهم معارك المقاومة البرنوسية ككل،يمكن الرجوع لهذا المؤلف الغني الذي اعتمد على الأرشيف العسكري الفرنسي ومصادر أخرى والذي شكل المادة الأساسية في هذه الدراسة) .

وضع كهذا شجع الغازي على القيام بهجوم جديد معتمدا على مقاتلي البرانس يوم 30 غشت 1914 كان من نتائجه مقتل فرنسيين :ضابط وجندي .
بسبب قوة السلاح العصري للجيش الفرنسي وتخلي بعض فروع القبائل عن المقاومة ونهاية التحالف بين الشنكيطي والغازي قرر هذا الأخير الالتحاق بقبيلة بني بويحيى بالريف خلال شهر شتنبر 1914.

3- مرحلة محمد الشنكيطي بالبرانس 1913- 1916

ينحدر الشنكيطي من منطقة أدرار بشنكيط وله تكوين ديني،فقهي وأدبي متميز تلقاه بفاس حيث مكنه هذا من التدريس بفاس وتازة .ارتبط بقبائل تازة والبرانس منذ شهر فبراير 1913 حيث قام بالدعوة الى الجهاد بمختلف الاسواق والدواوير الى ان تحقق حوله التفاف الكثير من القبائل مثل التسول والبرانس وغياتة الذين بايعوه سلطانا يوم 4 ماي 1913 بتزكية من الفرع المحلي للزاوية الدرقاوية بتازة خاصة في وقت كان فيه الحجامي قد لجأ الى الشمال.
استطاع الشنكيطي تشكيل تحالف قبلي كبير مكون من :أولاد بوريمة، بني بويحيى،مغراوة،المطالسة وقبائل تازة الذين اجتمعوا في وادي بولجراف كما انضمت كلا من بني وراين،أولاد رحو،الأحلاف،غياتة والبرانس التي كانت تضم 3000 مقاتل حيث التحقت بأولاد بكار تمهيدا للتوجه نحو مسون .
بعد فشل هجوم البرانس يوم 23 ماي 1913 على قوات الجنرال أليكس ALIX بقصبة مسون واختراقهم لمواقع العدو الذي وظف السلاح العصري لصدهم ،عاود البرانس الهجوم من جديد يوم 24 ماي 1913 على مسون وكان ناجحا بشهادة الفرنسيين كما دعموا بفرسانهم يوم 27 ماي 1913 مقاومة اولاد بوريمة والمطالسة بعين اغبال ...
تقول برقية فرنسية عن هجوم 24 ماي 1913"إن الهجوم على مركز امسون،وعلى عكس ما ورد في المعلومات الاستخبارية الأولية،كان ناجحا خاصة من جانب متمردي البرانس.ورغم الدرس الذي لقنهم اياه الكولونيل فيروFERAUD ،فإنهم لم يهدأوا كما هددت القبائل الثائرة هوارة بالانتقام".(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس....ص:170).
عاود البرانس و 2000 من مقاتلي غياتة يوم 28 ماي 1913 الهجوم على مواقع بمنطقة الكارة مطوقين بذلك الوحدات العسكرية

الفرنسية بقيادة اللواء جيراردو GERARDOT حيث يقول التقرير الفرنسي "لقد فوجئنا بطلعتهم-البرانس- من اعلى الثلة عند احتلال مسون" ،اما دو وارين DE WARREN فيقول عن البرانس:" خصوم حقيقيون ووطنيون الى ابعد تقدير يقدمون حياتهم فداء لجبالهم ودينهم،مقاتلون شرسون مباغتون في الهجوم ،يختبئون وراء الصخور وبين طيات الأراضي وفي الوديان قبل أن يطوقوا خصومهم من كل جانب " .*(طالع الدكتور محمد الوردي :قبيلة البرانس....ص: 173).*

من أجل ضمان فعالية المقاومة وإفشال العمليات العسكرية الفرنسية وبالنظر إلى مكامن القوة المتوفرة عمدت كونفدرالية البرانس إلى نهج سياسات متكاملة فيما بينها، تجمع بين ما هو محلي وإقليمي وجهوي:

تفعيل المؤسسات الاجتماعية والسياسية المحلية المتمثلة في "الجماعة"و "بولرباع" الذي وحسب ترينكا نفسه – والروايات الشفوية المتواترة – " يتم إعلان الجهاد من طرف مجلس بولرباع. يحصل كل محارب على الأسلحة والذخيرة التي يتم شراؤها كذلك بفضل الأموال المودعة لدى " الجماعة". يعين بولرباع قائد الحرب وفي غياب شخصية مؤهلة لذلك، يقوم كل ربع من القبيلة الأم بتعيين قائد ينتمي إليه. خلال احتلال فرنسا لمسون، عين الحاج محمد الشواي قائدا للحرب من طرف أحمد دعبد القادر (الطايفة)، وبوكعيبات (بني فقوص) رئيسي بولرباع.*(TRENGA :LES BRANES…P :435)*

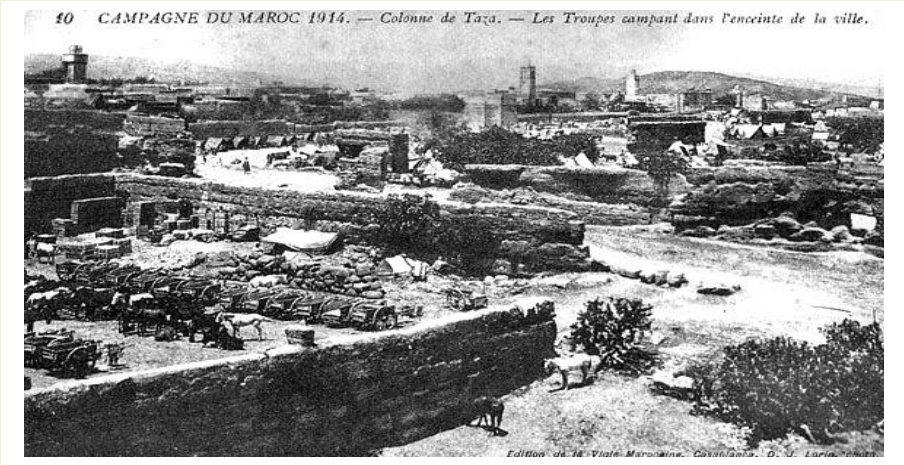

القوات الفرنسية بتازة والبرانس

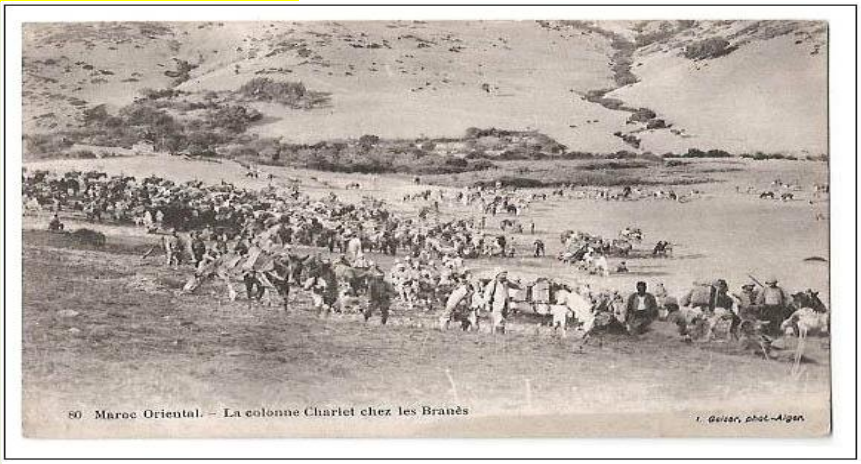

بعد تراجع الشنكيطي نحو المنطقة الاسبانية واحتلال تازة يوم 10 ماي 1914 حاول الجيش الفرنسي التوسع بتراب البرانس بكل من أهرار،اولاد جرو،سيدي بلقاسم ...لكن الشنكيطي سيظهر من جديد ليواجه قوات بومكارطن BAUMGARTEN الزاحفة على المنطقة حيث خسرت يومي 4 و 6 يونيو 1914 ثلاث جنود بينهم ضابط و10 جرحى. وعلى ضوء ذلك تشكل تحالف كبير مكون من غياتة ،بن وراين،التسول وربة،بني فتح،اولاد جرو،تيليوان،بني وریاغل بالطايفة حيث دارت معارك قوية خلال شهور شتنبر ،اكتوبر ودجنبر 1914 بطريق فاس وادي أمليل،وادي لحضر، مكناسة،مسون...

تركزت المقاومة بداية 1915 بقيادة الشنكيطي في الطايفة المدعمة بوربة وبني فقوص حيث تم الهجوم يوم 8 يناير 1915 على قافلة المؤن الفرنسية بسيدي أملال وادي لحضر .تمثل رد الفعل الفرنسي في تشكيل قوة عسكرية كبيرة ومجهزة بالسلاح العصري :قوات كاري CARRET من وادي أمليل وقوات بيلو BULLEUX من تازة قصد التوجه نحو قصبة بني وریاغل بالطايفة حيث يوجد الشنكيطي قبل احتلال منطقة سيدي احمد زروق .

بسيدي علي لفحل وقعت اولى المعارك يوم 21 يناير 1915 حيث واجهت قوات بني بوعلا،وربة،بني فقوص والطايفة -2200 مقاتل – تقدم الجيش الفرنسي مما حذا ببيلو BULLEUX الى القول:"كنت مضطرا لأتخلى عن خمسة جنود سينكاليين وكان على فرقة الاسعاف ان تحمل قتلى وجرحى الأمس" .*(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس ...ص:177).*كما فقد الجيش الفرنسي بقصبة بني وریاغل يومي 21 و23 يناير 1915 ،29 قتيلا و 4 جريحا فضلا عن العديد من الاسلحة والمعدات والمؤن ...وهو ما جعل بيلو BULLEUX يتراجع نحو تازة بدعوى سوء الاحوال الجوية.

من موقعه الاستراتيجي بسيدي احمد زروق،استطاع الشنكيطي تعبئة مقاتلي غياتة وكزناية فأوقف الجيش الفرنسي المكون من 5000 جندي بقيادة درانكوان DRANGOIN على باب المروج يوم 5 ماي 1915 وأحبط محاولة اخضاع اولاد سيدة والنخاخصة وخاض معركة تيليوان يومي 6 و 9 ماي 1915 بدعم من غياتة وكزناية بينما بقيت مكناسة محايدة.

قوة المقاومة وحدة المعارك دفعت بالعقيد لوي فوانو LOUIS VOINOT الى الاعتراف بها قائلا:"رغم المقاومة الشديدة التي أبداها العدو ، فقد تمكنا من طرده الى القمم المجاورة ،ولم تتمكن قواتنا من احتلال سيدي احمد زروق إلا بعد عدة ساعات ،وعادت فرق المتمردين الى الهجوم،وترتب عن ذلك مقتل سبعة،وجرح أربعة عشر منهم ضابط واحد".*(طالع الدكتور سمير بوزويتة:مساهمة قبيلة البرانس...ص:102).*

جامع الخمسين

فرض هذا الوضع على فرنسا توفير المزيد من التعزيزات العسكرية وإنشاء مستودع ومركز عسكري بجبل الحلفة لكن البرانس لم توقف هجوماتها على الجيش الفرنسي الذي فقد عددا من الجنود بالإضافة الى الجرحى .

كرد فعل قام العقيد هنري سيمون بحرق محاصيل المنطقة ايام 15-18 ماي 1915 لكن البرانس المكونة من 1500 مقاتل ستنتقم في معركة جامع الخمسين يوم 24 ماي 1915، فقد على ضوئها الجيش الفرنسي 13 قتيلا . واصلت البرانس مقاومتها لوقف الزحف الفرنسي بدوار عين الثلاثاء وسيدي احمد زروق يومي 27/26 ماي 1915 وسوق السبت بالكوزات مابين 25 و 28 ماي 1915 وهي المعركة التي خلفت 6 قتلى و21 جريحا فرنسيا.

خلال شهري يوليوز وغشت 1915 وبتدخل من "الكمار" شيخ اولاد بكار والحاج محمد بن علي قاضي تازة ومحمد الوجاني قائد غياتة استسلم كلا من القائد علي الجراوي،بن بوكعيبات ،علي امطيطو الجراوي ،والكثير من الأعيان بالطايفة وبني فقوص ووربة بينما بقيت بعض فرق بني بوعلا تقاوم كالكراكرة،القطا...

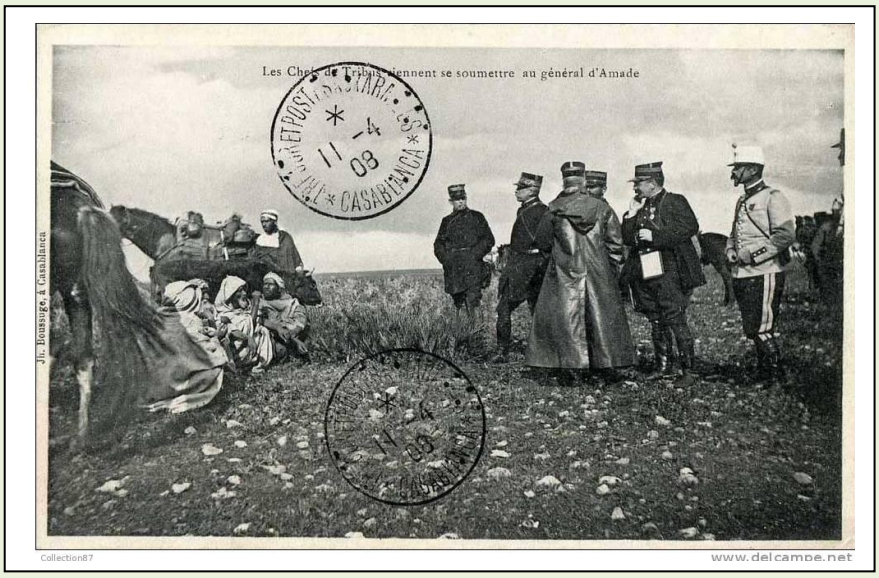

استسلام زعماء القبائل

بعد هذا الاستسلام والسيطرة على باب المروج الذي أصبح مركزا عسكريا قام الجنرال ليوطي يوم 20 ماي 1916 بزيارته ليلتقي بأعيان البرانس الخاضعين ويعمل على التهدئة وقطع العلاقة بينهم وبين الشنكيطي المتواجد في الريف حيث يعمل على توفير الرجال من القبائل والسلاح من ألمانيا واسبانيا لحليفه الأمير عبد المالك منذ بداية 1916.

4- حركة الأمير عبد المالك :1915-1918

مع بداية التغلغل الفرنسي بتراب البرانس وقبائل تازة ،كان العديد من الزعماء والقادة حاضرين في نفس التاريخ ونفس المنطقة منهم الشنكيطي،بارتلز BARTELS الألماني خلفا لزعماء اخرين مثل الحجامي والغازي.كون هؤلاء الزعماء خارجيين – من خارج المنطقة- لم يمنع البرانس وغيرها من القبائل المجاورة العمل تحت قيادتهم وهو تقليد معروف خاصة خلال ثورتي بوعزة الهبري والجيلالي الزرهوني –

بوحمارة- أواخر القرن 19 وبداية القرن 20.

يعتبر الأمير عبد المالك بن محي الدين استمرارا للإرث التاريخي لجده الأمير عبد القادر الجزائري الذي ولمواجهة الاستعمار الفرنسي قدم الى مدينة تازة سنة 1830 يستنهض قبائلها للجهاد في الجزائر وهو ما تمت الإشارة إليه من طرف المؤرخ الناصري قائلا:"...ثم تقدم الحاج عبد القادر حتى وصل إلى القعدة الحمراء بين التسول والبرانس وكان قصده ان يجتمع بشيعه ويصل يدهم بيده ويتم له ما رأى وأراد". *(طالع كتاب الدكتور محمد العريبي: المقاومة المسلحة ...ص:209)*.
بعد هذا التاريخ بحوالي 80 سنة أتى حفيده ليقود المقاومة بتازة انطلاقا من غياتة وكزناية ثم البرانس وأغلب القبائل المستعدة للوقوف في وجه الاحتلال الفرنسي.
استطاع الأمير عبد المالك منذ منتصف سنة 1915 وهو بالبرانس جمع تحالف أولي مشكل من البرانس وغياتة،وتمكن كذلك من كسب ثقة شخصيات برنوسية وازنة مثل الكوراري ،حمو الفزاري ، ابراهيم الوربي ،محمد الشواي ،قويقة محمد بوعياد ،مسعود حروش،علي المراحي الجراوي ...هذا عدا عن التحالف والتواصل العملي مع الالمان المدعمين لحركته الجهادية بالسلاح والمال والأطر عن طريق بارتلز BARTELS .

خلال ثورة الجيلالي الزرهوني ما بين 1902 و 1909 قام هذا الأخير بتمكين البرانس من جهاز سياسي عسكري على شاكلة النظام المخزني فتم تعيين الكوراري قائدا على وربة وحمو الفزاري قائدا على بني بوعلا وعلي المراحي الجراوي وعبد الرحمان الترايبي قائدين على بني فقوص وعمر دقشمار وعامر التليواني الذي وبعد مقتله سنة 1904 عوض بأحمد بقاش على الطايفة.
(*Voir TRENGA :LES BRANES...P :410*)

الأمير عبد المالك وبارتلز

بالإضافة الى تكوينه العسكري بتركيا وتمرسه على القيادة والقتال استطاع الأمير عبد المالك المنخرط كقائد عسكري كبير ضمن جيش بوحمارة بتازة تكوين معرفة دقيقة بالمجال الجغرافي للمنطقة وملامسة قتالية وشجاعة سكانها وهي العناصر الأساسية لقيادة تشكيلات المقاومين من كل القبائل .
يمكن التطرق الى تجربة المقاومة التي قادها الأمير عبد المالك بالبرانس ومحيطها القبلي من خلال العدد الكبير من المعارك التي دارت بمختلف أجزاء تراب قبيلة البرانس. بعد التخطيط للهجومات منتصف سنة 1915 وجه الأمير عبد المالك يوم 7 دجنبر 1915 قواته نحو منطقة أولاد بكار وبوقلال التي فقد فيها الجيش الفرنسي 70 قتيلا حسب الأمير و 8 جنود حسب الجيش الفرنسي ثم هاجم المركز العسكري باب المروج يوم 26 دجنبر وبداية يناير 1916 معتمدا على قبائل البرانس،غياتة،بني وراين،المطالسة.

وادي أهرار بسيدي أحمد زروق وجبل الحلفة في الأفق

طوال النصف الأول لشهر يناير 1916 نهجت المقاومة استراتيجية حرب العصابات وتعدد المواقع الفرنسية المستهدفة :جبل الحلفة ،الجبل الاحمر ،بني بوعلا ،عين بوقلال،باب تيمالو،مكناسة الفوقانية،بني خلاد،باب المروج،صنهاجة، كزناية،سوق السبت ووادي لحضر ،بوقلال .فكانت حصيلة احدى المعارك كما يلي :6 قتلى و 8 جرحى فرنسيين ومقتل عبد الرحمان خليفة عبد المالك من بني فقوص.

تعتمد على تفكيك البرانس من الداخل عبر ضرب نظام اللف أي التحالف والتضامن التلقائي بين المكونات الأربعة للبرانس :وربة،بني بوعلا،بني فقوص والطايفة حيث أشرفت خلال شهر يناير 1916 على تشكيل مجموعات من

الموالين لها من "الخونة" البرانس كي ينفذوا عمليات تدمير وحرق ونهب ممتلكات سكان وربة وبني بوعلا بما فيهم عائلة الثائرين، القائد الكوراري وسي إبراهيمالوربي.(*طالع:الدكتور محمد العربيي:المقاومة المسلحة...ص:244*).

حرق وتدمير القرى

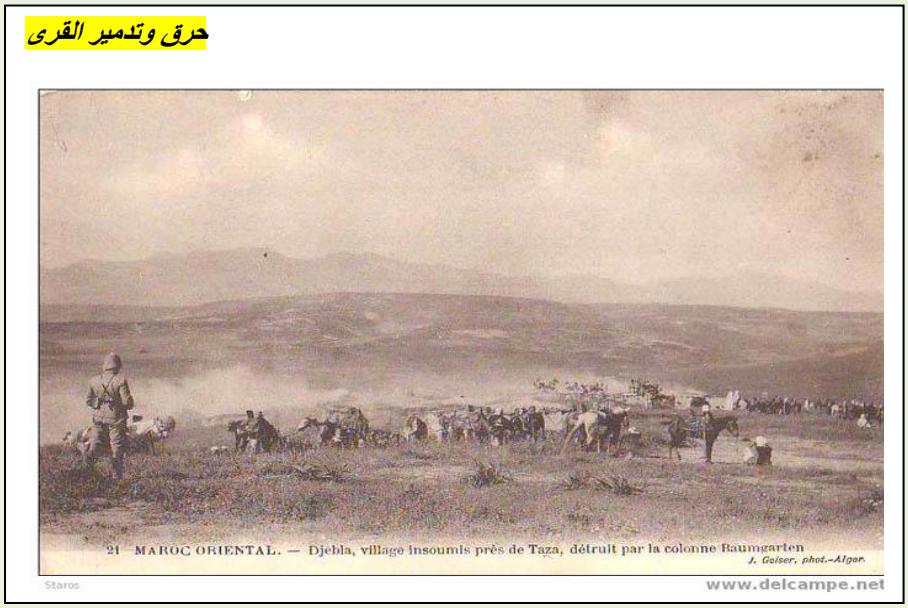

لم تعمل هذه السياسة الفرنسية إلا على الدفع بالبرانس ككل لتنفيذ استراتيجية المقاومة المسلحة التي تعممت وشملت بشكل تصاعدي مختلف المناطق نجمل أهمها في ما يلي:

* مواجهة عبد المالك لقوات الجنرال هنري سيمون HENRI SIMON بأحد كزناية يوم 27-01-1916 حيث فقد العدو قتيلين و 6 جرحى ، ثم بوربة وبني بوعلا يوم 29-01-1916 فقد على ضوئها الفرنسيون رقيبا و جرح ضابطان وعنصران من الأهالي المساندين لفرنسا.تمثلت حصيلة المعارك في تدمير مقر عبد المالك بكزناية ،مقتل القائد الوربي وجرح الزعيم الصغير اليعقوبي المدعومين من طرف صنهاجة والقطا وكذا العديد من القتلى بالبرانس و إحراق مئات المنازل.

* هجوم بني بوعلا بقيادة عبد القادر بن زركة يومي 11 و 12 فبراير 1916 على مركز جبل الحلفة ومشاركة البرانس يومي 17 و 18 فبراير في عملية تخريب السكك الحديد والتليغراف بين كرسيف والصفصافات واستمرار عبد المالك في محاولاته تحرير باب المروج .

* مقاومة محاولات سيطرة العقيد شارلي CHARLET على بني بوعلا يوم 24 ماي 1916 عبر كهف الغار،صف العرق والقطا /الخندق حيث ووجه بمقاومة البرانس الذين لم يتراجعوا بالجبل الاحمر إلا بعد استخدام الجيش للمدفعية مدمرا القرى التي هجرها سكانها مرغمين .

* بجنان مجبور صمد بني بوعلا يوم 29 ماي 1916 الى ان قام شارلي CHARLET باستقدام السلاح والقوة من تيسة وتوظيف البشير الزمراني قائد التسول –عين قائد منذ سنة 1914- في المعركة التي فقدت فيها فرنسا 3 قتلى بينهم ملازم وضابط و 21 جريحا.

* بموازاة استخدام القوة العسكرية لجأت فرنسا الى تكتيك استمالة الزعماء والأعيان المحليين وتوظيفهم. لقد استطاع شارلي CHARLET استمالة السبيع قائد بني بوعلا وبوكعيبات شيخ اولاد حدو،القائد محمد الشواي من أعيان فرقة بني فتح الموالين للشنكيطي وعبد المالك ... وإلقاء القبض على القائد علي المراحي الجراوي أحد رجالات عبد المالك خلال شهر يونيو 1916 .لكن في المقابل استمرت المقاومة ببني بوعلا ووربة، وفي فترة وجيزة استطاع عبد المالك منذ اواسط 1916 فك التحالف بين فرنسا وبين محمد الشواي والسبيع ومحمد الخلادي ومحمد حروش.

منزل القايد علي المراحي الجراوي نواحي باب المروج

* أواسط سنة 1916 أعاد الأمير عبد المالك تنظيم قواته: ثلاث معسكرات تضم 500 مقاتل من كزناية والبرانس شمال احد كزناية و 1300 اخرين بقيادة الصغير والكبير اليعقوبي البرنوسيين .وعمل على توجيه ضربات متعددة ومتفرقة جغرافيا لفرنسا طوال النصف الثاني لسنة 1916 في وادي بروم،ملال،مسون،عين طرو،بني فتح،الهياسفة،الفزازرة ،عين لخميس،بني بوعلا،مركز باب المروج ، ونظم هجوما على قافلة عسكرية قادمة من تازة ،الجنينة بوربة،تايناست والطايفة .وخلال شهري غشت وشتنبر 1916 حاول الكبير اليعقوبي أحد القادة الميدانيين تدمير خطوط السكك الحديدية الرابطة بين تازة ووجدة على مستوى مسون كما قام أحد المختصين في المتفجرات بتدمير قنطرة بوجراف.(*طالع:الدكتور عبد السلام نويكة:أعالي ايناون...ص:336*)

* مع بداية 1917 استغل المقاومون بقيادة عبد المالك الظروف المناخية الصعبة ،وبالاعتماد على السلاح القادم من مليلية ونهج تكتيك حرب العصابات، فواصلوا الهجومات على الكثير من المواقع مثل طرق الامداد بين تازة وباب المروج ،سوق الجمعة ،عين طرو ،الزكيكة

وامسيلة...كما عمد عبد المالك الى معاقبة الخونة والمتعاونين مثل القائد الحاج محمد طيطا الذي تم حرق منزله ونهب ممتلكاته ...
*أمام الخطر الذي يهدد مركز باب المروج قرر الجنرال كورو GOURAUD تجهيز قوة عسكرية ضاربة تحت إمرة الجنرال شاريي CHARRIER والعقيد شارلي CHARLET،قوة مكونة من 23 فرقة مشاة،9 فرق من الخيالة،7 قطع مدفعية،قصد التوجه يوم فاتح ابريل 1917 الى عين طرو لكن قوات عبد المالك واجهت هذا التقدم باستهداف مناطق اثنين الجبارنة ومكناسة الفوقانية ...
كان للاستعمال المكثف للمدفعية والطيران الذي استهدف البرانس ومغراوة، دور كبير في حسم هذه المعركة لصالح فرنسا التي ارغمت المقاتلين على التراجع نحو الاماكن الآمنة ،كما دمرت يوم 6 ابريل 1917 مخيم عبد المالك .هذا الاخير سيغير بمقاتليه من جديد ايام 8-9-10 ابريل على سوق الجمعة ،وادي بروم ، باب مولاي علي ،بني فتح وورية التي كان بها رجال عبد المالك مثل القائد الشواي واليزيد البقالي ،فكانت الحصيلة 7 قتلى و 33 جريح حسب مصادر فرنسا .
* يوم 14 ابريل 1917 ردت فرنسا بقوة على المقاتلين بالهجوم على سوق الثلاثاء ببني فقوص وسيدي احمد زروق ثم الفزازرة ...كما لجأت الى تغريم السكان عن الحرب - 4500 فرنك فرضت على بني فتح- وتعويض ما فقده القائد طيطا وبوسلة شيخ عين طرو ،وقامت بتثبيت القائد طيطا وأفراد عائلته في السلطة الى ان اغتيل من طرف اولاد عبو بزعامة مسعود بن سي موح .

مركز باب المروج

* بعد حملة شاريي CHARRIER بأسبوعين انتقل عبد المالك الى جبل بوهارون حيث استمال لحركته اعيان البرانس ومرنيسة وصنهاجة واجتمع معهم في الحبايلة ببني فتح حيث تم تشكيل 3 فرق:
- مجموعة الشواي ببني فتح والتي تضم 100 راجل وبعض الفرسان.
- مجموعة اليزيد البقالي التي تضم 600 محارب بالكوزات والتي جاءت من مرج رومي.
- مجموعة سي التهامي التي عملت على تطويق الفرنسيين ببني بوعلا يوم 15 ماي 1917،فكانت الحصيلة 8 قتلى،جريحين ورشاشتين كغنيمة ثم هاجمت احد امسيلة لشل حركة واتصال الفرنسيين.
* على ضوء هذه المعارك قام ليوطي LYAUTEY بتعزيز قواته بفرق عسكرية من فاس والجزائر وعين على رأس الجيش الجنرال أوبير AUBERT بدل شاريي CHARRIER كما قام بزيارة تازة حيث صرح يوم 5 يونيو 1917 ان الفرنسيين :"باتوا على وشك الانهيار التام بسبب ضعف القوات وخبرة وازدياد نشاط الثوار ".(*طالع الدكتور محمد الوردي: قبيلة البرانس... ص:224).*

مركز امسيلة

* كان ليوطي LYAUTEY محقا لأن المقاومة استطاعت لاحقا أي يومي 13 و 22 يونيو 1917 بعين الحوض ورأس القبة هزم الجيش الفرنسي الراغب في السيطرة على بني بوعلا وفصلها عن المقاومة حيث فقد 15 قتيلا من بينهم ضابط وقبطان وملازم و 29 جريحا كحصيلة بينما فر الجنود الاخرون نحو باب المروج وجبل الحلفة .
* خلال شهر يوليوز 1917 أعطى ليوطي LYAUTEY اوامره لتأسيس مركز احد امسيلة قصد مواجهة استراتيجية عبد المالك المتمثلة في التوجه غربا وجنوبا أي غياتة بني وراين وبالتالي التحكم في ممر تازة وقطع الطريق الرابطة بين فاس وتازة .

* خلال شهر شتنبر 1917 ،قام عبد المالك بتعزيز قواته بسبت الكوزات /وربة بمقاتلين جدد تحت قيادة اليزيد البقالي كما شكل قوة من المقاتلين بجبل ازدم التي ضمت 600 مقاوم تحت قيادة الجيلالي الشركي ومحمد ابركان. كان الهدف من ذلك هو السيطرة على باب المروج وتحريره عبر تطويقه من الشمال والشرق حيث جرت معارك قوية بأولاد حدو وبني فتح وجبل امساف أواخر شهر شتنبر 1917،معارك انتهت بهزيمة البرانس حيث فقدوا 14 قتيلا وتم على ضوء ذلك احداث مركز باب مولاي علي .

قلعة مولاي علي

* مع بداية شهر أكتوبر 1917 ظهرت خلافات بين الزعيمين الأمير عبد المالك وبارتلز BARTELS ، كان للجنرال ليوطي LYAUTEY دورا كبيرا فيها وهو ما انعكس سلبا على العمليات العسكرية لعبد المالك الذي لم يعد يتوفر على المجال الجغرافي الواسع ولا على ما يكفي من المقاتلين، مما فرض عليه توخى الحذر والاقتصار على هجومات عسكرية عادية مثل التي استهدفت سبت الكوزات ومسون.

* هزيمة المقاومة ايام 10-11-12 ابريل 1918 على يد الجيش الفرنسي المدعم من طرف بعض مقاتلي التسول بقيادة الشيخ داندان دفعت الأمير عبد المالك المستقر بجبال بوهارون الى تعزيز قواته بقبيلتي صنهاجة وهوارة الحجر لتحريك الجبهة في بني وراين وورغة بقيادة محمد بوعياد قويقة،وتشكيل مجموعات بكل من امسيلة وجنان مجبور وباب العشوب بقيادة بوسلام الدكالي .

* بارتلز ALBERT BARTELS الالماني الأصل يقود خلال شهري يونيو/يوليوز 1918 عمليات بشرق البرانس بأحد الجبارنة وأولاد حدو لقطع المؤن عن الجيش الفرنسي.

* منذ بداية شهر شتنبر 1918 بدأ تقدم الفرنسيين من الشرق عبر الحبايلة بني فتح ومن غرب البرانس عبر سوق الخميس،أهل الواد ،بوهارون مما فرض على عبد المالك خلال شهر شتنبر 1918 نقل مقره من بوهارون الى بني كرامة قصد اعادة تنظيم قواته لتحرير بوهارون والمناطق المحتلة حديثا .عودة قوات-300 مقاتل- الأمير عبد المالك لبوهارون نهاية شهر أكتوبر لم تكن فعالة عسكريا خاصة أمام استعمال الطيران والمدفعية وأربع فرق عسكرية قادمة من تازة لتعزيز الجيش الفرنسي بقيادة أوبير AUBERT .بعد حسم المعركة لصالح فرنسا وتأسيس مركزي كهف الغار وبوهارون شهر اكتوبر 1918 اضطر عبد المالك الى اللجوء الى المنطقة الاسبانية تاركا المجال فارغا أمام فرنسا لتوظيف المتعاونين مثل القائدان الركوك والخلادي في إخضاع البرانس...

* مرحلة 1919 - 1926 : خروج الشنكيطي وعبد المالك من مجال البرانس ترك القبيلة ما بين يناير 1919 وماي 1925 تحت هدنة مفروضة مع محاولات هنا وهناك لإحياء المقاومة من جديد مثل :

1- تهديد الخمليشي للفرنسيين بالحبايلة وبوهارون سنة 1920 .

2- تحركات بني بوعلا التي قمعت خلال شهر ابريل 1919 بفرقة الكوم رقم 25 المشكلة من البرانس بباب المروج...

3- وجود اتصالات بين عبد المالك والحاج بقيش شهر يوليوز 1920 لإنشاء حركة مواجهة لمركز الكوزات وكزناية .

4- وجود اتصالات بين عبد المالك والفقيه علي بن يحيى الدرويش- الفزازرة – لاغتيال القائد الخلادي المعين بظهير 1 يناير 1921.

بنى بوعلا

* خروج القادة الكبار مثل عبد المالك من مجال البرانس الذي تزامن مع احكام السيطرة العسكرية الفرنسية ونهجها سياسة ضرب الجانب المعيشي لساكنتها عبر حرق محاصيل بني فقوص سنة 1921 دفع بما تبقى من مقاتلي القبيلة الى الاستسلام ووضع السلاح خلال شهر نونبر 1920،فبراير ابريل 1921،ابريل 1922 والخضوع مؤقتا لأجهزة سياسية إدارية أساسها القياد والشيوخ والمقدمين .

* بداية مخزنة القبيلة:لقد بدأت فرنسا سياسة الضبط الأهلي للساكنة عبر تعيين أعيان وأعضاء الجماعات بالقبيلة سنة 1919 وتعيين محمد الخلادي قائدا على البرانس بينما رقي الركوك خليفة الخلادي الى رئيس للجماعة شهر فبراير 1922 ثم قائدا للبرانس خلفا للخلادي الثائر

المنضم لثورة الخطابي شهر نونبر 1925 .
* تركيز وتقوية الجانب العسكري:بموازاة تأسيس مركزي كهف الغار وبوهارون سنة 1918 قام الجيش الفرنسي بتعزيز قواته بفرق الكَوم وتعبئة العناصر المحلية من البرانس وغيرهم في العمليات العسكرية لإخضاع ما تبقى من القبيلة مثل بني بوعلا سنة 1919 ومواجهة غياتة خلال معركة أهل التلات الشهيرة سنة 1921.

* من أجل حماية المركز العسكري بباب المروج وجعله مركزا استراتيجيا متقدما لضمان خضوع البرانس تم تجهيزه بالقوة اللازمة:فيلق عسكري ،فرقة للمدفعية من فئة "65" ، ست(6)فرق من الفرسان،مجموعة الاستطلاع مكونة من عدد من الفرق وسرية واحدة بسوق الثلاثاء الترابية جنوب باب المروج.
لم تكن هذه الترتيبات العسكرية ولا فرض جهاز سياسي إداري محلي "قياد وشيوخ" ولا توظيف بعض المتعاونين في عملية السيطرة واستنبات سلطة أجنبية عن النسيج السياسي الاجتماعي البرنوسي المعروف باستقلاليته وتمسكه بحريته ،لم تكن هذه الاستراتيجية كافية لضمان الخضوع النهائي للبرانس .فبمجرد ظهور الخطابي كزعيم قادر على تحرير منطقته الخاضعة لاسبانيا حتى انضمت قبائل تازة تاونات ...الى مشروعه التحرري الوطني بألوان جمهورية .

5- البرانس وثورة الخطابي:مقاومة بألوان جمهورية

من أهم العوامل التي جعلت البرانس تنضم الى ثورة الخطابي نجد:
- الموقع الجغرافي: تعتبر البرانس الامتداد الطبيعي لجغرافية الريف حيث تستقر في مقدمة جبال الريف التي تنتهي في ممر تازة الاستراتيجي.
- الجانب الإثني:رغم عمليات التعريب التي خضعت لها القبيلة منذ قرون لا زالت البرانس تحتفظ بالعديد من عناصر أصولها الأمازيغية وهو العنصر المشترك بينها وبين القبائل الريفية حتى حدودها الشرقية والشمالية.فالبرانس وكغيرها من القبائل الأمازيغية الأصل حافظت على العديد من بنياتها الاجتماعية السياسية الثقافية ضمن محيط قبلي أغلبه أمازيغي ***.(طالع محمدي هرنان:قبيلة البرانس،إشكال الهوية والمسار عبر التاريخ في موقع www.branestaza.ma:)***.

محمد بن عبد الكريم الخطابي

- العلائق الإجتماعية: منذ القديم والمجموعات الإجتماعية تعيش حركية دائمة في الإتجاهين معا حتى أن هناك عددا من العائلات من أصل ريفي لجأت في وقت سبق لتستقر بالبرانس ولم تجد أية صعوبة في الاندماج حيث تملكت الأراضي،دخلت في علاقات مصاهرة مع العائلات المحلية كما مارست أنشطها الحرفية والتجارية الخاصة بها بحرية تامة كالحدادة ،التجارة والنجارة..
- العامل الإقتصادي:لم تشكل التضاريس الوعرة ولا بعد المسافة ولا اللغة المتداولة أي عائق أمام النشاط الاقتصادي حيث مارست البرانس وقبائل الريف النشاط التجاري عبر طريقين تجارين ينطلقان من البرانس نحو منطقة زبوجة بالريف .فمقابل المنتوج الفلاحي المتوفر بالبرانس تجلب هذه الاخيرة المواد الصناعية والأسلحة من مليلية وهو ما جعل الحصار الاقتصادي الفرنسي على البرانس بعد احتلال تازة بدون جدوى.
- العامل السياسي: تاريخا تصنف العديد من قبائل الريف وتازة ضمن بلاد السيبة أي غير الخاضعة للسلطة المركزية وبالتالي غياب شبه التام للهيكل السياسي الاداري المخزني المكون من القياد ومساعديه لصالح بنيات سياسية اجتماعية قبلية قوية مثل الجماعة ومجلس بولرباع /أيت الأربعين/إنفلاس .هذا التنظيم المستقل عن المخزن يعتبر الجهاز الأساسي الذي ينظم حياة القبيلة ككل بالموازاة مع أدوار ووظائف أخرى يتكلف بها الشرفاء والمرابطون وممثلي الزوايا .شكل هذا المعطى السياسي عاملا مهما في العلاقة المتوترة للمنطقة مع المخزن حيث غالبا ما كانت قبائل تازة تنضم الى الحركات الجهادية السياسية الثائرة على السلطة المركزية بالعاصمة كتلك التي تزعمها أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 بوعزة الهبري والجيلالي الزرهوني وعبد الكبير أخ السلطان عبد الحفيظ .
كل هذه العوامل كانت حاضرة في استراتيجية الخطابي الذي استهدف في البداية اسبانيا لكن لم يدمج البرانس وقبائل تازة لضرورات تكتيكية منها تأجيل المواجهة مع فرنسا التي تستطيع تدمير قبائل شمال وغرب تازة بالطيران والمدفعية كما فعلت ذلك مرات عديدة خلال زحف جيشها على البرانس والتسول والقبائل الأخرى...
بمجرد استيلاء الخطابي على تايناست والقطا وبني وليد خلال شهر يوليوز 1924 ،بدأ يهيئ لنقل المعركة نحو مغرب فرنسا التي استمرت بإقامة التجهيزات العسكرية والتحصينات تحسبا للمواجهة . بعد فشل المفاوضات بين الطرفين بتاوريرت حول تحديد مناطق النفوذ خاصة ببني زروال شهر مارس 1925 دخل الخطابي بقواته قبيلة بني زروال بوابة البرانس تمهيدا لتحرير المنطقة الممتدة من وزان الى تازة.في نفس الوقت عين الخطابي السيد محمد البقالي القرفة قائدا عسكريا نواحي البرانس التي انضم جزء منها أي بني بوعلا من أجل استرجاع بني

زروال من يد فرنسا التي احتلتها بدعم من القائد المدبوح الكزنايي والقائد عمر دحميدو المرنيسي.
مع بداية شهر يوليوز 1924 دخلت قوات الخطابي عمق البرانس كالحبايلة ببني فتح وبدأت تهدد المراكز العسكرية الفرنسية بكهف الغار وبوهارون ،صنهاجة ،كزناية ومرنيسة مما دفع بليوطي الى طلب تعزيزات عسكرية جديدة .
طبول الحرب بدأت تسمع أصواتها نواحي تازة حيث وخلال شهر ماي 1925 هاجمت قوات الخطابي المعززة بجزء من البرانس المواقع الفرنسية بقبيلة التسول ومسون لقطع طريق الإمدادات عن تازة تمهيدا لتطويقها وتحريرها فكانت الحصيلة 7 قتلى و 5 جرحى في الجيش الفرنسي.
شكلت هذه المعارك حافزا كافيا لما تبقى من البرانس للانضمام الى الثورة خاصة وأن تقاليد وقيم ومؤسسات القبيلة لا زالت متماسكة وقوية مثل نظام "اللف Leff" واللفوفية الذي يعني التضامن بين مكونات القبيلة كلما كان هناك خطر خارجي .فانضمام ربع بني بوعلا منذ نهاية 1923 لحركة الخطابي وأمام الخطر الذي يمكن ان يهدد هذا الربع يفرض وبشكل تلقائي انضمام الأرباع الاخرى أي قبائل بني فقوص،الطايفة وورية"أوربة" الى الحلف القبلي الأصلي أي كونفذرالية البرانس .
كانت للدعاية الجادة للخطابي بالبرانس والعلاقات التي ربطها مع الكثير من أعيانها اللذين حضروا فعاليات المجلس الوطني للثورة خلال شهر يونيو 1924 دورا مهما في انضمام البرانس والقائد الخلادي وأعضاء من عائلة بوكعيبات شهر يونيو 1925.
حول هذه المرحلة الحرجة المتميزة بتحالف القبائل مع الخطابي وخطرها على الوجود الفرنسي بتازة ككل صرح الكولونيل فوانو VOINOT قائلا " توغل العدو إلى البرانس، وقام بهجومات عديدة على مراكزنا وعلى فرقنا المساعدة، كما حاول عبد الكريم شق جبهتنا لما توقف بوزان وورغة حتى يتمكن من السيطرة على تازة، وشن هجوما عنيفا في 23 يونيو 1925 بمساعدة العديد من متمردي القبائل المجاورة كما انضمت إليه التسول والبرانس" وبعد مرور يومين عقد اجتماعا حضر فيه كل من الجنرال DARYAN و CHAMBRUN والجنرال ليوطي حيث أمر هذا الأخير بحماية تازة بأي ثمن وبإخلائها من المدنيين. (*طالع ميمون مدهون : المقاومة في منطقة تازة من خلال النص العسكري الفرنسي ...ص:95*)
من جهته اضطر الجنرال سيريكي SERRIGUY إلى التعبير عن حالة القلق والرعب التي يعيشها الجيش الفرنسي قائلا "لا نتحارب ... مع الريفيين الحقيقيين، لكن مع القبائل التي كانت بالأمس خاضعة واليوم ثائرة بتحريض من الريفيين ".طالع:
(***Taoufik Agoumi : Quatorze ans de résistance dans la région de TAZA.P :140***)

الخلادي يقود مقاومة البرانس .

ما ذكر حول مختلف العلاقات بين الريف والبرانس ينطبق على عائلة الخلادي:عائلة هاجرت من الريف واستقرت بقبيلة الطايفة التي وفرت لها الأمن.ارتبطت اجتماعيا عبر المصاهرة بفرقة بني خلاد من قبيلة اوربة واشتغلت بالتجارة في أسواق منطقة الريف.
الموقع الاجتماعي والعلمي للعائلة أهلها لتنخرط في العمل السياسي عبر تعيين لزرق البوسعيدي أب محمد الخلادي أمينا للصندوق أي المال ضمن مخزن الجيلالي الزرهوني/بوحمارة .
هاجر لزرق البوسعيدي من قبيلة بني بوسعيد بالريف خلال القرن 19 واستقر بالطايفة ،تزوج من عائشة الخلادية وأصبح من الاعيان والمقربين من بوحمارة كأمين للصندوق.

قبيلة الطايفة بلد استقرار الخلادي

عرفت التجربة السياسية لمحمد الخلادي صاحب العلم والجاه عدة تقلبات من حيث الولاءات قبل أن يستقر به الحال قائدا ثوريا ضمن جيش الخطابي.بعد فشل ثورة بوحمارة ربط الخلادي علاقات خاصة مع الفرنسيين سنة 1913 فتم تعيينه شيخا على فرقة بوهليل كمقابل لمحاولاته إقناع البرانس بعدم مقاومة فرنسا بتازة شهر ماي 1914، لكنه سيدعم لاحقا رفقة القائدين العسكريين الشواي والسبييع حركة المقاومة بقيادة الشنكيطي بالبرانس سنة 1916/1915.
أمام عدم توازن القوى العسكرية ،انسحب الى قبيلة اولاد بكار قبل أن تسترجعه فرنسا في إطار سياسة توظيف الأعيان والزعماء المحليين لإخضاع القبائل والتحكم فيها بأقل التكاليف والموارد البشرية. بعد تعيينه قائدا على الطايفة ،عمل على تجميد عمل المقاومة بقيادة عبد المالك بين 1917 و 1918 ثم عين رسميا على القبيلة كلها سنة 1921.
ولكي يضمن ولاءه وهو الذي يعرف تقلباته السياسية ، قلده ليوطي LYAUTEY قلادة الشرف لكن هذا لم يمنع الخلادي من ربط الإتصال

بالخطابي اثناء اكتساح هذا الأخير لمجال منطقة ورغة سنة 1924.

كان هذا مقدمة لبداية القطيعة النهائية مع فرنسا حيث ساهم في تنظيم جيش الخطابي بجرفاطة وانتهى بفك الارتباط نهائيا مع المؤسسة العسكرية الفرنسية نهاية شهر يونيو 1925 والالتحاق بالمقاومة الريفية البرنوسية ليلة 26 يونيو 1925.
تزامن هذا التحول الجذري في مواقف الخلادي مع رغبة البرانس في نقض الهدنة المفروضة عليها مع فرنسا والقيام بما يسمى ب"الغدرة" أي التحلل من شروط اتفاق الضعيف مع القوي .منذ نهاية شهر يونيو 1925 قرر الخطابي فتح جبهة البرانس على جميع الواجهات نذكر من بينها معركة باب المروج يوم 23 يونيو 1925 التي كادت ان تفقده فرنسا لولا تدخل قوات الجنرال كومباي CAMBAY وكل المراكز الأخرى بمختلف مناطق البرانس مثل القبة،عالية اللبن،كهف الغار، بوهارون ،الطهر ،الشياب ،جرفاطة،الكوزات،امسيلة،جبل أزهر....

أمام هذا الزحف الذي لم تستطع القوات الفرنسية ايقافه اضطرت معه للانسحاب نحو قواعدها الخلفية يوم 25 يونيو 1925 بعد إحراق منازل العطاطرة وأولاد بوسعدن ،كما انسحب بورنازيل BOURNAZEL وهو راجلا رفقة 55 جنديا من الشياب ببني بوعلا عبر مرتيشة بعدما فقد العشرات من القتلى و 15 جريحا في معركة عالية اللبن/الشياب ثم التحق بباب المروج ناجيا من الموت بأعجوبة،بينما أمر القبطان ميج MIEGE بإخلاء نساء الضباط بتازة .

محمد الوردي:قبيلة ...ص: 355

صورة رقم 33: إحدى قرى البرانس وقد دمرت وأحرقت جراء القصف ونزح السكان عنها[2]

رغم استدعاء السلطان يوسف للزعماء الذين لم يقوموا بكل أدوارهم ولم يبذلوا ما يكفي من المجهودات من اجل وقف دعاية وتأثير الخطابي بالبرانس والتسول فقد ارتفع عدد المنضمين الى الخطابي(البرانس: 3813 عائلة و 1500 مقاتل .التسول:3638 عائلة و 500 مقاتل . مطالسة:448 عائلة و 280 مقاتل . كزناية: 350 عائلة و 292 مقاتل .
قوات الخلادي تحاول استرجاع مراكز الشياب،الوطية ،طهر الحمار ببني بوعلا جبل أمساف ،باب مولاي علي ببني فقوص عبر توظيف وتعبئة حتى السكان للهجوم دفعة واحدة على أقرب مركز لهم ثم تنجح لاحقا في السيطرة على الكثير من المواقع من بينها عين الخميس والشياب. وكما يعبر عن ذلك الملازم ديساين DESSAIGNE قائلا:"... بعد حين وصل متمردو بني بوعلا برفقة الريفيين واستولوا على ما تبقى من المركز –باب الخميس-وأمسكوا الركوك ومساء يوم 28 يونيو 1925 سقط مركز الشياب بيد الصنهاجيين وبني بوعلا ". ***(طالع الدكتور محمد الوردي :قبيلة البرانس...ص:302).***
بعد تخلي الكثير من الأعيان ورجال السلطة مثل الخلادي وأخويه علال ومحمد الصغير عن خدمة فرنسا أتى دور الركوك خليفة بني بوعلا الذي التحق بالخطابي يوم 28 يونيو 1925 ، ويوم 29 سقط مركز كهف الغار كذلك بينما استمر تهديد مركز امسيلة من طرف المقاومة ابتداء من يوم 28 مما فرض تدخل الطيران والمدفعية الفرنسية والقبائل الموالية .
هجومات المقاومين كانت عنيفة على كل الجبهات ببني بوعلا الى درجة ان مانو MANUE اعترف قائلا"لم تتوقف سيارات الاسعاف عن حمل الجرحى ونقل الموتى". ***(طالع الدكتور محمد الوردي: قبيلة البرانس....ص:303).***
أمام حالة اليأس وانهيار معنويات القوات الفرنسية مثل مجموعة بورنازيل BOURNAZEL وفيرال FERAL،المنهكة بالجوع والعطش وشراسة المعارك وعدد القتلى والجرحى تذكرت فرنسا سياستها القديمة التي طبقتها وهو تغزو البرانس أي إحراق وتدمير هذه الأخيرة .

لمواجهة هذه الوضعية الكارثية التي يعيشها الجيش الفرنسي وكما يقول مانو MANUE :"...وجه ضابط الاستعلامات الأمر لقائد الفيلق:أضرم النار في كل المحاصيل ....أتت النيران على الحقول بفعل هبوب الرياح .احترق كل شيء فلم يبق إلا أراض مغطاة بالرماد الأسود ". ***(طالع الدكتور محمد الوردي: قبيلة البرانس....ص:303).***

تعليقا على التقدم السريع لقوات الخلادي بتراب بني بوعلا وتراجع الفرنسيين الى امسيلة يقول مانو MANUE :"لم يحصل لنا هذا مع أيت شغروشن ومرموشة في الأطلس المتوسط."لقد" تعجب البرانس "الموالين" من القتالية التي عبر عنها إخوانهم".(*طالع الدكتور محمد الوردي: قبيلة البرانس... ص:303*).

رغم وصول الإمدادات العسكرية الفرنسية لمنطقة امسيلة تواصلت المعارك الشرسة يوم 30 يونيو 1925 بامسيلة مما خلف العديد من القتلى والجرحى بما فيهم القائد العسكري جانكي JUNQUET.

ما بين 1 و 5 يوليوز 1925 أصبح ممر تازة فاس الجزائر في خطر باعتراف ليوطي LYAUTEY وهو بفاس حيث قال:"اذا ما تزايد تقدم الريفيين ببلاد التسول والبرانس فإنه سيعرقل حماية فاس وسيهدد خطوط التواصل مع الجزائر كما أن التقاء الريفيين بالمتمردين بتازة سيؤدي الى انتفاضة شاملة*".(طالع الدكتور محمد الوردي: قبيلة البرانس... ص:306)*

كلام ليوطي على حق خاصة وأن العديد من المواقع والمسالك مثل طريق امسيلة باب المروج والممرات المؤدية الى الشرق كقلعة مولاي علي /سيدي بلقاسم وثلاثاء ازلاف مهددة وحتى جهود جيرو GIRAUD وبورنازيل BOURNAZEL بشرق بني فقوص لم تنجح في ايقاف تقدم المقاتلين نحو مسون يومي 4 و 5 يوليوز 1925.لقد استطاعت المقاومة كذلك تأخير وصول قوات الجنرال كومباي CAMBAY والعقيد فيرال FERAL الى باب المروج الى يوم 1 يوليوز 1925 مما عقد الوضعية أكثر فأكثر حيث لم يستطيعا استقطاب الساكنة وفي نفس الوقت عرفت قوات فيرال FERAL تفككا حيث هدده أنصاره بالقتل .

على ضوء هذه الأحداث المتسارعة في غير صالح فرنسا وتزامنها مع ثورة التسول ،غياتة،شراكة ،الحياينة وفشتالة وخلال اجتماع بفاس يوم 4 يوليوز 1925 ،اقترح العديد من القادة العسكريين التراجع نحو الجزائر او فاس او مكناس كما أن ليوطي عبر عن قلقه في رسالة الى الجنرال بيوط BILLOTTE يوم 6 يوليوز 1925 قائلا:" أعول عليك في الأيام المقبلة للمساعدة في استعادة وضعنا السابق شمال تازة". *(طالع الدكتور محمد الوردي: قبيلة البرانس... ص:307).*

منذ الأسبوع الأول ليوليوز 1925 كانت الكثير من التحصينات والأسلحة والجنود والمؤن قد اقيمت بأحد امسيلة استعدادا للدفاع كما الهجوم لكن الخلادي المخادع عمل على إلباس المقاومين لباسا "مخزنيا" وتوجه يوم 11 يوليوز 1925 الى مركز طهر الحمار موهما قائده روكسين ROXIN بالاستسلام فسيطر على المركز وقتل روكسين الفار من طرف احميدة بن المرابط وستيتو بن قدور والرحموني اللذين لاحقوه .وفي نفس اليوم أي 11 يوليوز شهد جبلي أمساف والنهير معارك قوية بين المقاومة وبين قوات فيرال FERAL والموالين من المغاربة بقيادة دي بيرو الذي قتل في المعركة ولم تسلم جثته إلا بعد مدة حيث دفن بباب المروج .

عزلة وأزمة الجيش الفرنسي خلال هذه المرحلة وضحت بشكل جلي الاستراتيجية العسكرية المعتمدة من طرف الخطابي والقادة العسكريين البرانس كالخلادي حيث تم استغلال المجال الجغرافي المتنوع من حيث التضاريس والغطاء الغابوي وكفاءات العنصر البشري الذي تعود على المعارك والمقاومة منذ عقود.وكما يشير الى ذلك بورديس BORDES الذي وثق درجة عزلة الجيش الفرنسي مقابل الكفاءات العالية للمقاومين قائلا " صارت الدائرة ضيقة من حولنا،فالأعداء يوجدون بكل مكان وأي أعداء هم؟إنهم أهل الجبال الخشنون ورثة البرابرة،أقوياء البنية...متوحشون يصوبون بشكل جيد ...من أين لهم بهذا التحرك السريع؟...إنهم يدافعون عن بلادهم...يعرفون كيف يستعملون الارض...يهاجمون بمجموعات النقط الضعيفة أو العناصر المعزولة،إذا ما نجحت المباغتة فإنهم يكملون مهمتهم ،وفي ظرف وجيز يجهزون على كل الأفراد الذين يعترضون تقدمهم .وعندما تفشل المباغتة يختفون بسرعة كما جاؤوا بسرعة ويفرون إلى منطقة أخرى لتطبيق نفس الاستراتيجية*".(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس...ص:311).*

واصل المقاومون عملياتهم العسكرية بناء على نتائج اجتماع الخطابي مع ممثلي القبائل في المجلس الحربي يوم 1925/07/19 فتتقرر فتح جبهات جديدة، بتراب البرانس كان من نتائجها:

- تطويق وحصار مركز امسيلة ما بين 13 و26 يوليوز 1925 وهو ما ضيق الخناق على الفرنسيين في مخافرهم بدون مئونة ولا راحة ...

- انشاء حركة جديدة بأولاد سيدة بوربة لحصار باب المروج والهجوم على ورش انجاز الطريق بين بوقلال وباب المروج يوم 17 يوليوز قتل على إثره جميع الأوربيين ثم تشكيل قوة عسكرية بقيادة الخلادي بأولاد عبو مدعمة ب 800 مقاتل من بني عمارت،وصنهاجة واولاد بوسلامة.

- من اجل تعويض خسائرها البشرية وفك الحصار المفروض على قواتها ،لجأت فرنسا كعادتها الى حرق الاراضي وقتل الماشية بامسيلة يوم 19 يوليوز 1925 في انتظار وصول الدعم العسكري بقيادة الجنرال بيتان PETAIN.

يوم 07/20 /1925 سيطر الخلادي بقوات برنوسية ريفية على مركز باب المروج حيث يوجد العقيد فيرال FERAL مستهدفا قطع المواصلات مع تازة ومع عميل فرنسا القائد المدبوح وباقي المراكز الأخرى،وفرض الاستسلام على الفرنسيين تمهيدا للتوجه نحو تازة .

تكلف بالدفاع عن باب المروج الجنرال كومباي CAMBAY،العقيد بولي POULET ،العقيد لاكارد LAGARDE ،العقيد بونتري POUNTRY ولم يستطيعوا فك الحصار عن المركز إلا يوم 27-07-1925 لكن الثمن كان باهظا حيث قتل الملازمان بوفار

BUFFARD ومايان MAYAN وتم أسر ملازم آخر أرسل سجينا الى مركز بني برابر بمتيوة تاونات.
أمام هول الهزيمة وخطورة الوضع العسكري في الميدان تقدم الجنرال كومباي CAMBAY يوم 22 يوليوز 1925 بطلب الى الجنرال ليوطي LYAUTEY يقضي بإخلاء تازة لكن ليوطي وبعد تداول الأمر في المجلس الحربي بفاس ودراسة تقرير مبعوثه الخاص الى تازة الجنرال دوكان DAUGAN قرر يوم 5 غشت 1925 الاستمرار وبدل كل الجهود العسكرية من أجل الحفاظ على تازة تحت السيطرة ***.(طالع:الدكتور محمد العريبي : المقاومة المسلحة...ص:281).***

من أجل تنفيذ قرار ليوطي LYAUTEY ، جهزت فرنسا ثلاث مجموعات عسكرية بهدف تحرير باب المروج :الأولى أتت من مكناسة عين بوقلال،الثانية انطلقت من دار القائد المدبوح والثالثة من الدريوش كما استعملت المدفعية والطيران الحربي لمواجهة المقاتلين المحصنين في مخابئهم بالجبال .

محمد الوردي:قبيلة...ص: 312

صورة رقم 21: مدفع فرنسي في جهة امسيلة سنة 1925

رغم تدمير المحاصيل بمنطقة امسيلة وتواجد التعزيزات العسكرية بمركزها، اضطرت القوات الفرنسية إلى الانسحاب بشكل كامل من المركز وكل المراكز الأخرى المجاورة الى درجة قال عنها ليوطي LYAUTEY يوم 31-07-1925 : "هكذا عم التفكك اي بدأ انهيار المنجز بالمغرب منذ ثلاث عشر سنة .ولمواجهة هذه الأوضاع لم نكن نتوفر سوى على قوات منهكة ومستنزفة بفعل شهرين من القتال المتواصل حيث تقلص عددها الى النصف بسبب القتلى والجرحى". ***(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس... ص:314).***

نفس التقييم للوضعية العسكرية في الميدان،عبر عنه الجنرال دوسي DOSSE يوم 11 غشت 1925 حيث قال"إن مخيم الفرقة المتحركة الذي يضم مجموعة الفيالق وبعض البطاريات بأنها توجد في عزلة...والمجموعات المجاورة توجد على حوالي 15 و 20 كلم من جبل حلفاء ،في الشرق مجموعة باب المروج وفي الغرب مجموعة وادي امليل ،وأن جميع الاتصالات المباشرة بين هذه المجموعات الثلاثة مستحيلة لان المسلك الذي يربط بينهم يوجد كله في البلاد المتمردة". ***(طالع الدكتور محمد العريبي:المقاومة المسلحة ...ص:278).***

الطيران الحربي

بفضل التعزيزات العسكرية التي وصلت الى المغرب شهر يوليوز 1925 أصبح مجال الحركة واسعا لدى الفرنسيين مما أثر بشكل سلبي على المقاومة التي بدأت تفقد الكثير من مواقعها لصالح فرنسا تمثلت في : فقدان مركز مولاي علي ببني فقوص،رفع الحصار على ثكنة القلعة ببني فقوص،وقف الهجومات على منطقة مسون وطريق الجزائر،دحر المقاومة شمال باب المروج،وقف الهجومات على السكك الحديدية بين تازة فاس ...لكن بالمقابل كانت هناك كذلك هجومات على جبل الحلفة جنوب ضريح سيدي احمد زروق مع التحكم في تلال تازة الشمالية وحصار الطريق السلطاني وتازة .
مباشرة بعد اتخاذ كل الإجراءات للفصل بين التسول والبرانس ،أعلن الماريشال بيتان PETAIN عن موعد الهجوم بقيادة الجنرال بواشو BOICHUT.تم حشد قوات ضخمة موزعة بين جبل الحلفة بقيادة دوسي DOSSE

ووادي أمليل بقيادة سيمون SIMON ووادي اللبن بإثنين مرنيسة بقيادة نوكيس NOGUES ومدفعية باب المروج وكذا الطيران الحربي.

بدأ الهجوم الفرنسي يوم 18 غشت 1925 حيث حاصروا قوات الخلادي بين وادي لحضر وقمة جبلية بامسيلة،وتم عزل البرانس عن التسول قبل احتلال هذه الأخيرة وكذا امسيلة وتامدارت وأعالي وادي اللبن ووادي الحضر كما تم تأمين خط السكك الحديدية.لكن وكما يعترف بذلك بورديس BORDES :"بدأت كتيبتنا بالهجوم على امسيلة ...كنا نتحرك بسرعة في منحدر جبلي عندما تعرضنا لوابل من الرصاص...وشرعنا في تسلق المنحدر المقابل للعدو ...كنا محاصرين بنيرانه...بدأ تنظيمنا يتفكك...وشرعت دبابات الاقتحام في التراجع عن المنحدر،جرح موان MOINT كما جرح المكلف بالرشاش ومساعده المكلف بالمدفعية".(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس...ص:321).

تنفيذا لخطط القادة العسكريين المتمثلة في استرجاع كل ما فقده الجيش الفرنسي سابقا وكذا السيطرة على مناطق ومواقع جديدة ،متقدمة ومستقرة تساعد على استتباب الامن ورجوع كل السكان الفارين الى مناطقهم الأصلية خاض الجيش الفرنسي المعارك المصيرية التالية:

- معارك استعادة كهف الغار،بوهارون وجرفاطة من الخلادي الذي سيطر عليها على حساب بورنازيل BOURNAZEL في وقت سابق .
- من أجل استرجاع جبل أمساف المسيطر عليه منذ أبريل الماضي تشكلت ثلاث مجموعات كبرى :1- مجموعة الغرب بقيادة دوسي DOSSE كلفت بالتقدم نحو امسيلة الكوزات.2- مجموعة الشرق بقيادة العقيد كوراب CORAP بباب المروج .3- مجموعة دار القائد المدبوح بكزناية .

(بقايا القنابل والرصاص بمنطقة باب المروج وبني فتح)

محمد الوردي:قبيلة ...ص:325

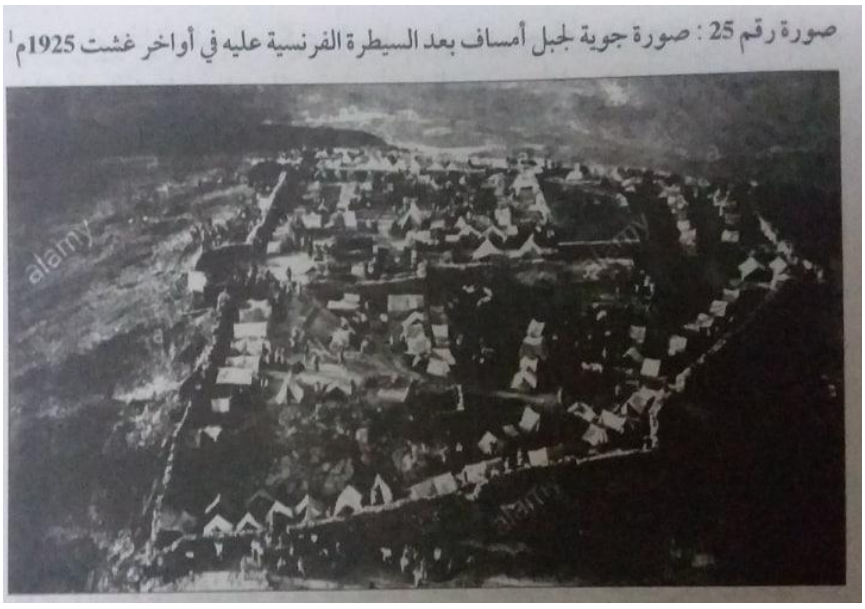

حول هذه المعركة صرح العقيد فوانو VOINOT قائلا : "خلال هذه المرحلة، أسندت قيادة المنطقة الشرقية إلى الجنرال بواشو BOICHUT الذي جهز للسيطرة على جبل أمساف، التشكيلة التالية:

- ستة عشر كتيبة
- أربع سرايا
- خمسة عشر سرايا مدفعية
- مجموعتان من الرشاشات

وقد قسمت هذه الوحدة إلى قسمين:

- مجموعة الغرب بقيادة العقيد دوسي DOSSE
- مجموعة الشرق بقيادة كوراب CORAP

لقد نجحت هذه الوحدات في إخضاع البرانس، لكنه بالرغم من ذلك استمر المتمردون في

مواجهتنا". ***(طالع الدكتور سمير بوزويتة:مساهمة قبيلة البرانس...ص:107)***

حاول الخطابي دعم مقاتلي البرانس بالرجال والسلاح نظرا لأهمية البرانس الاستراتيجية شمال تازة خاصة منطقة جبل أمساف التي توفر للمقاتلين مجالات مهمة لتفادي الطيران والمدفعية .لقد واكبت الجرائد الفرنسية هذه المعارك حيث كتبت جريدة السعادة في عددها ليوم 26 غشت 1925 ما يلي :"في هذا الصباح وفي القطاع الشرقي بدأت المجموعة 19 عملياتها في بلاد البرانس شمال باب المروج باتجاه جبل أمساف بهدف دفع فخدات البرانس الى الاستسلام .وتقول المعلومات الأولية ،ان تقدمنا سينفذ بنجاح رغم صعوبات المنطقة التي يشغلها جبل أمساف على ارتفاع 1385 متر". ***(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس...ص:324).***

جريدة لوفيكارو ليوم 28 غشت 1925 بدورها علقت بالقول :"خضنا معارك قوية حول جبل أمساف حيث قاوم البرانس على شكل أنظمة خنادق تم اعدادها بإحكام.لكن تم طردهم بفضل سلاح المدفعية .عبرت قواتنا العسكرية جبل أمساف بعدما تركنا به فرقة مراقبة ثم حاولت اختراق منحدرات جبل النهير" ***.(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس...ص:324).***

جبل النهير المحادي لجبل أمساف بباب المروج

من الجهة الغربية للبرانس تقدم دوسي DOSSEيوم 25 غشت 1925 نحو امسلة كي يسيطر على جبل السماط ثم صف العرق ببني خلاد والكوزات مما جعل المقاتلين يتراجعون نحو مرتيشة والسكان يهربون بماشيتهم...لكن خسائر الفرنسيين كانت مهمة كذلك :مقتل الضابط هونكلر HUNKLERوالملازم ألي ALLIE وجرح العديد من الفرنسيين .شدة المعارك على جميع الواجهات وما تمثله من خطورة على تازة المدينة وباديتها التي تعتبر ممرا استراتيجيا يربط المغرب بالجزائر ،دفع بالجيش الفرنسي الى استعمال الغازات السامة في الحرب بموازاة تعويض الماريشال ليوطي LYAUTEY بالماريشال بيتان PETAIN كقائد للجيش الفرنسي خلال شهر غشت 1925.(***طالع الدكتور عبد السلام نويكة:تازة على عهد الحماية...ص:86).***

يرجع الباحث محمد خرشيش هذا التغيير في القيادة العسكرية الى كون "الماريشال بيتان ينادي بضرورة الاتجاه الى شمال تازة لتحقيق التحام او التقاء القوات الفرنسية بالاسبانية قبل فصل الشتاء في اماكن محددة تشكل القواعد الضرورية المناسبة لشن هجومات منسقة مع الاسبان ضد القبائل الريفية التي تعتبر الاداة الفعالة والمحرك الاساسي للمقاومة في حين كان ليوطي يرى انه يجب تركيز الجهود على المنطقة الوسطى لتمكين حلفائها :الشريف الدرقاوي من بني زروال وعمر دحميدو من مرنيسة والقائد المدبوح من كزناية من الالتحاق بمناطقهم كعامل بسيكولوجي لإعادة ثقة القبائل والاعتماد من جديد على القواد الثلاثة لمحاربة بن عبد الكريم وبالتالي القضاء على حركته ..."***(طالع محمد خرشيش:التحالف الفرنسي الاسباني ضد المقاومة الريفية 1924-1926.ص:134).***

بين وصول الماريشال بيتان PETAIN خلال شهر يونيو 1925 الى المغرب واستقالة ليوطي LYAUTEY شهر شتنبر 1925 بدأت ملامح الاستراتيجية العسكرية الجديدة تظهر من خلال التركيز على مناطق وقواعد المقاومة المحادية لتازة في أفق توجيه ضربات التحالف الاسباني الفرنسي للقواعد الخلفية للخطابي بالريف وجبالة.

خلال يوم 28 غشت 1925 التقت مجموعات دوسي DOSSE وكوراب CORAP الذي واصل تطهير منطقة باب المروج أمساف قبل أن يتوجه دوسي DOSSE يوم 30 غشت لتطهير منطقتي الكراكرة الفزازرة.

رغم حصول الخلادي على دعم ريفي بالرجال والسلاح ومحاولته الانطلاق من دوار الخندق يوم 31 غشت 1925 حيث ألحق بالفرنسيين بعض الخسائر فانه سيتراجع الى مرنيسة أمام القوة الغازية كما فرضت فرنسا الاستسلام على 300 عائلة برنوسية هاربة من أصل 4000 . علم القائد الخلادي بتواطؤ كلا من عمر دحميدو قائد مرنيسة والقائد المدبوح ومشاركتهما في الزحف الفرنسي للقبض عليه وبعد مقاومة عنيفة انسحب من مرنيسة نحو قبيلة زرفت التي أساء فيها القائد محمد فلاح الخمليشي للخلادي وسجنه في تاماسينت قبل تدخل الخطابي لإطلاق سراحه والانتقال الى تاركيست .

على ضوء اتفاق فرنسا اسبانيا شهر يوليوز 1925 بدأ الشروع في الهجوم على الخطابي بمختلف الجبهات.ركز الخطابي قواته بالقطا والشياب قبل أن يهزم فرنسا يوم 1 شتنبر 1925 في معركتي أمساف النهير ومرتيشة حيث عادت أولاد جرو،أولاد حدو،بني فتح وبعض أولاد عبو وتيليوان لدعم الخطابي.تعترف الصحافة الفرنسية بأن " معركة جبل النهير كانت معركة عنيفة بكل المقاييس" ***.(طالع الدكتور محمد الوردي:قبيلة البرانس...ص:331).***

استمرت فرنسا في استرجاع المناطق المستولى عليها فهاجمت قوات دوسي DOSSE وادي السبت يومي 6 و 7 شتنبر 1925 بينما تقدمت الفرقة العسكرية 14 نحو البرانس من جهة قلعة مولاي علي حيث أصيب العقيد جيرو GIRAUD قبل احتلال بني كرامة،وتايناست.

قلعة مولاي علي ببني فقوص ومركز تايناست الحالي شمال وربة

من جهتهم حاول مقاوموا القطا وباب العشوب وأولاد بوسعدن وبعض وربة وبزعامة الخلادي والعربي التهامي شيخ اولاد عبو والحاج محند الجالي شيخ اولاد عسة،حاولوا عرقلة التقدم الفرنسي يوم 17 اكتوبر 1925 قبل التراجع بسبب القصف الجوي.
من منطقة صنهاجة السراير عمل الخلادي على تعبئة المقاتلين البرانس ،التسول وغياتة حيث شكل قوة بالقطا التي هاجمت يوم 21 أكتوبر 1925 المواقع الفرنسية ببني امحمد والشياب وحجر ملول .
خلال هذه المرحلة بقيت 200 عائلة برنوسية هاربة لم تستسلم كما سجل مقتل كلا من علال ومحمد الصغير الخلادي في ظروف غامضة.
انحسار المقاومة بالبرانس لم يقف حاجزا امام استمرار مشاركة الكثير من مقاتليها وأغلب بني بوعلا في قوات الخطابي بقيادة محند الجالي،محمد الشواي بينما استمر الخلادي في مواجهة قوات فرنسا المدعمة برجال عمر دحميدو المرنيسي يوم 19 نونبر 1925 بصنهاجة وقرية النسور ومركز حجر كنفوذ نتجت عنها خسائر مشتركة في الأرواح.
الخلادي من جديد يتسلم الدعم من الخطابي ويعتمد على بني بوعلا وبني وليد وحاول خلال معارك شهر دجنبر 1925 استرجاع مواقع سيدي علي بورقبة ،باب العشوب،سيدي علي بن داوود،البرابر ،لكن الملازم بورنازيل BOURNAZEL والملازم ديساين DESSAIGNE وبدعم من بعض الموالين من البرانس وجيرانها والقوة العسكرية بتازة وباب المروج حسما الموقف لصالح فرنسا.
مع نهاية ثورة الخطابي توقفت المقاومة مؤقتا في انتظار مرحلة جيش التحرير التي شاركت فيها البرانس كغيرها من المناطق بالمال والطاقات القتالية . وفي انتظار هذه المرحلة ، شكلت الهزيمة والاستسلام بداية مرحلة جديدة في حياة البرانس التي عاشت في ظل نظام المنطقة العسكرية تبعا للتصنيف الاستراتيجي الفرنسي الذي قسم المناطق بالمغرب إلى منطقتين حسب درجة الخطر والتوتر: منطقة مدنية يحكمها مراقب مدني ومنطقة عسكرية عالية التوتر يحكمها إطار عسكري كبير - كومندار أو قبطان - يتوفر من جهة على ما يكفي من القوة العسكرية والعتاد ، يساعده في ذلك جهاز إداري محلي مكون من الشيوخ والمقدمين على رأسه قائد من أعيان القبيلة.
إن المقارنة بين الخسائر لدى هذا الطرف أو ذلك لا تصلح عندما ندرس المقاومة لدى الشعوب.فالبرانس ومحيطها القبلي خلال الغزو الفرنسي لفاس وتازة قدمت الكثير من التضحيات:أرواح بشرية لا تحصى،ممتلكات مدمرة ومنهوبة،تهجير جماعي قسري نحو الشرق بمنطقة رشيدة والشمال بمنطقة مرج رومي بتايناست ...مقابل المئات من القتلى والجرحى بصفوف الخصم لكن الأهم كان هو الصمود والدفاع المستميت عن الأرض والإنسان والممتلكات كما جاء في اعترافات قادة الجيش الفرنسي بمختلف رتبهم العسكرية.
وكما يقول الدكتور ميمون مدهون :"يحق للمغاربة في كل شبر من ربوع هذا الوطن الشامخ أن يذكروا بكل اعتزاز ما اعترف به الجنرال كيوم' GUILLAUME' نفسه بخصوص المقاومة المغربية:لم تخضع أية قبيلة من القبائل دون مقاومة والبعض لم يخضع إلا بعد أن استنزف آخر وسيلة للمقاومة ولم تأت قط قبيلة إلينا إلا بعد هزيمتها في ميدان القتال،كل مرحلة من مراحل التقدم كانت نهاية معركة،وكل حركة كانت توجد حدودا جديدة كان يجب أن يدافع عنها بخط من الحصون يحرسها رجالنا لسنوات طويلة وهم معرضون للخطر دون أن يجنوا أي مجد" *.(طالع الدكتور ميمون مدهون:المقاومة في منطقة تازة...ص:93).*

المراجـــع

**** أغلب المعطيات الخاصة بمعارك المقاومة تم تلخيصها في هذه الدراسة اعتمادا على كتاب: محمد الوردي:قبيلة البرانس في مواجهة الاحتلال الفرنسي .دور الزعامات في قيادة المقاومة(1912-1926).نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.الطبعة الأولى 2017 .الرباط***

- محمد العريبي:المقاومة المسلحة وجيش التحرير بمنطقة تازة ما بين 1914 و1956م.نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.الطبعة الأولى.الرباط

- لويس أرنو: زمن "لمحلات" السلطانية. الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860 و 1912. ترجمة محمد ناجي بن عمر. مطبعة إفريقيا الشرق. الدار البيضاء.2002.

-عبد السلام نويكة:أعالي إيناون في المشروع الاستعماري الفرنسي بالمغرب 1914-1926.نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.الطبعة الأولى-2017 .الرباط.

-عبد السلام نويكة:تازة على عهد الحماية،مقاومة القبائل للاستعمار الفرنسي.البرانس نموذجا 1912-1956.منشورات ومضة .الطبعة الأولى 2014.طنجة.

- ميمون مدهون: المقاومة في منطقة تازة من خلال النص العسكري الفرنسي. ضمن:ندوة المقاومة والحركة الوطنية بجهة تازة، الحسيمة، تاونات. 1900- 1956. نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.منشورات عكاظ .2001.

- سمير بوزويتة : مساهمة قبيلة البرانس في مقاومة الاستعمار الفرنسي للمغرب. 1912-1925. ضمن: ندوة المقاومة والحركة الوطنية بجهة تازة، الحسيمة، تاونات. 1900- 1956. نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.منشورات عكاظ 2001.

- محمد بن جلون : قراءة في تاريخ الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة وجيش التحرير بجهة تازة الحسيمة تاونات ضمن: ندوة المقاومة والحركة الوطنية بجهة تازة، الحسيمة، تاونات. 1900- 1956. نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.منشورات عكاظ 2001.

- محمد خرشيش:التحالف الفرنسي الاسباني ضد المقاومة الريفية (1924-1926). ضمن ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900-1934. نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.الطبعة الثانية.مطبعة المعارف الجديدة.الرباط.

- محمدي هرنان:قبيلة البرانس،إشكال الهوية والمسار عبر التاريخ.(موقع الأبحاث والدراسات :www.branestaza.ma).

- TAOUFIK AGOUMI : Quatorze ans de résistance dans la région de Taza. Mémorial du Maroc. Vol : 5. Impression Atlanta. Madrid. 1985

- DANIEL RIVET : LYAUTEY et l'institution du protectorat français au Maroc. 1912 – 1925. Tome I. édition l'harmattan. Paris.

-TRENGA : Les branes. Archives Berbères 1915-1916.Edition-Diffusion AL KALAM Rabat.1987.